

نداء المجهول

قصة الكاتب الكبير محمود تيمور

دراسة نقدية تحليلية

بقلم: فتحي الأبياري

محمود تيمور

في نقط



- ولد محمود تيمور بالقاهرة في حى «درب سعادة» يوم ١٦ يونيه ١٨٩٤م .

- والده العلامة المرحوم أحمد تيمور ، وعمته الأديبة الشاعرة المرحومة السيدة عائشة التيمورية . وأخواه المرحومان اسماعيل ، ومحمد مور الذى يعتبر من مؤسسى المسرح المصرى الحديث .

- منعه المرض من مواصلة الدراسة ، فتفرغ للادب وللقصة
- توج المجمع اللغوى انتاجه ، ومنحـه الجائزة الأولى عام ١٩٤٧ .
- حصل على جائزة الدولة للاداب عام ١٩٥٠ .
- اشتهر ببراعته فى كتابة القصة القصيرة ، وأطلقوا عليـه رائد القصة القصيرة فى مصر وله أكثر من ٤٠٠ أقصوصة .
- تسلم جائزة الدولة التقديرية من الرئيس جمال عبد الناصر فى ديسمبر ١٩٦٣ .
- كتب ستة قصص طويلة هى سلوى فى مهب الريح . كليوباترا فى خان الخليلى . نداء المجهول . شمروخ . إلى اللقاء أيها الحب . المصابيح الزرق . ومعبود من طين أخيرا .
- وكتب أيضا ١٦ مسرحية .
- وله ١٢ كتابا فى الدراسات الأدبية واللغوية و ٧ كتب فى الخواطر والصور الأدبية والرحلات .
- أصابه القدر بضربتين قاسيتين . الأولى حين فقد أخاه محمد ، والثانية حين فقد ابنه « سعيد » الذى كان فى العشرين من عمره ، أثناء عملية جراحية فى « المصران الأعور » .

● وبالرغم من نشاطه التأليفى ، فهو يشارك فى الندوات والمحافل الأدبية فى البلاد العربية . وكان على رأس وفد مصر لتمثيل الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر الأدباء الأول « الكلمة » عام ٦٠ فى بيت مرى .

● له نشاط كبير فى المجمع اللغوى بالقاهرة . وقد عينه المجمع العلمى المجرى عضوا مراسلا ، وكذلك المجمع اللغوى العراقى .

● قال عنه طه حسين : « فاذا قيل أنك أديب مصرى ، ففى ذلك غض منك ، وإذا قيل انك أديب عربى ، ففى ذلك تقصير فى ذاتك ، وإنك توفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمى ، وبأدق معانى الكلمة وأوسعها وأعمقها » .

● وقال عنه المستشرق الروسى « أغناطيوس كراتشوفسكى » إن تيمور يعمل بهمة دائبة ، وجهد موفق . . وما وصل إلينا من مؤلفاته ، يدل على أنه زعيم القصة المعاصرة ، وأنه أصبح الكاتب المفضل ، والمعترف له إجماعا بالتفوق فى أدب بلاده المعاصر .

نداء المجهـــول

ماذا يفعل الانسان إذا فشل فى أى مجال من مجالات الحياة ؟

هل يتخلص من هذه الحياة ، أو يسلك طريقا آخر ؟

وما الطريق الذى يجب أن يسلكه المرء . وما المجهول . . فى هذه الرواية ؟

لقد حاول الكاتب الكبير محمود تيمور أن يعثر على الطريق فى « نداء المجهول » . وهذا هو ما كانت تبحث عنه « مس ايفانس » بطلة الرواية التى قالت :

« قد تعترض المرء فى تاريخ حياته حادثة ، حادثة واحـدة » تحول خط سيره ، وتحلق به فى جو جديد يقسره على تغيير نفسيته » ومن ثم يتهيأ لقبول الحقائق الصوفية « بلا مكابرة ولا عناد » .

والذى دعا « مس ايفانس » إلى أن تقول هـذا ، أنها كانت مثـل سائر البشر ، تسعى للاستمتاع بتلك الزخارف البراقة ، حتى تكشف لها المجتمع عن حقيقته ، وبان لها زيفه وبهتانه . لقد وثقت بالدنيا ، فأودعتها أعز ما تملك ، أودعتها قلبها ، ولكنها ردت إليها هـذا القلب مطعونا . فماذا فعلت « مس ايفانس » عندئذ .

لقد كانت الصدمة عنيفة ، جعلتها تفكر فى الانتحار . ولكنها

أخيرا ، رحلت عن انجلترا ، وذهبت إلى لبنان ، واستقرت فى فندق « الأمان » لصاحبه الشيخ عاد . وهناك التقت بباقى شخصيات الرواية . الاستاذ محمود وهو شاب مصرى حاول أن يحبها ، ولكنها فاجأته بقولها « انها امرأة بلاقلب » . فوافق على أن يكون لها صديقا . و «مجاعص» الدليل الذى قاد الرحلة إلى «المجهول» . فما هى تلك الرحلة التى دارت فيها رواية «نداء المجهول» .

●

وفى لبنان ، عشقت «مس ايفانس» أسطورة كانت منتشرة بين الأهالى . ملخصها أن شابا أسمه «يوسف الصافى» وهو ابن أحد زعماء الجبل ، كان يحب فتاة تدعى «صفاء» . وكانت تبادله الحب بعشق وحب ، ولكن عقبة الثأر بين قبيلتها وقبيلته ، وقفت تسد طريق حبهما وتعاهد العاشقان على أن يكون كل منهما للاخر . وحاول أهل صفاء أن يزوجوها لآخر . وفى ليلة الزفاف ، ظهر يوسف الصافى ، وأطلق الرصاص على حبيبته كما اتفقا على اللقاء فى السماء بلا قيود ، وبلا عقبات حيث الصفاء والحب . ولكنه لم يستطع أن يقتل نفسه كما كان الاتفاق ، فهرب ، وظل يجرى . ويجرى إلى المجهول . وعندئذ بدأ الناس يخترعون الأساطير حول صفاء ، ويوسف الصافى ، وقصره المجهول الذى اختبأ فيه .

ولذلك قررت «مس ايفانس» أن تقوم برحلة للكشف عن المكان الذى اختبأ فيه يوسف . وبدأت الرحلة بالرغم من المخاطر

والمفاجآت التى صادفها أبطال الرواية . ولكنها واصلت التقدم مدفوعة بحنين خفى يجذب قلبها إلى القصر المجهول الذى يوجد فيه يوسف الصافى . وعثرت عليه . وعرفوا منه حقيقة الأسطورة ، ولماذا لا يريد أن يغادر المكان .

فقال لهم :

« كنت أتخير الأمكنة المنعزلة ، لأقضى وقتا أتأمل وأفكر . ولم يعد للرعب مكان فى قلبى وأخذت أنظر إلى جريمة القتل التى ارتكبتها نظرة هادئة . وأصبحت تتراءى لى « صفاء » وهى مسبلة الأجفان ، ويحمل وجهها طابع اللطف والوداعة .

وتمكن منى ايثار الوحدة ، والاستغراق فى التأمل . ألسنا كلنا مسيرين فى هذه الدنيا ، كل شىء يسير وفق الأقدار ، فهى التى تحكم ارادتنا . ما نحن إلا يدها التى تضرب ، أو على الأصح صدرها الذى يتلقى الضربات .

وقال له محمود :

ـ انه نفى مؤبد .

وقال له يوسف الصافى :

ـ أتعد هذا نفيا ؟ ألا انى أعده الخلاص من حياة زائفة .

فقالت مس ايفانس فى نشوة :

ـ أنت الرجل الوحيد الذى فهم سر هذا الوجود .

وببطء شديد ، كانت مس ايفانس ، تنجذب ليوسف الصافى .
ولكن المفاجأة الساحرة التى ختم بها تيمور قصة «نداء المجهول» كانت عاملا مهما فى خلود هذه القصة ، فعندما ترك يوسف الصافى ، هى والشيخ عاد ومحمود . وابتعدوا عن المكان بمسافة طويلة ، فوجىء محمود ذات صباح باختفاء مس ايفانس . وسأل الشيخ عاد قائلا :

ـ أين مس ايفانس . . أين ذهبت ؟

فأجابه الشيخ عاد

ـ لقد ذهبت

ـ إلى أين ؟

وأشار الشيخ عاد إلى اتجاه الناحية القائم فيها القصر وهو يقول :

ـ هناك . . ألم تفهم ؟

وظل هذا السؤال حائرا فى أذهان آلاف القراء الذين قرأوا قصة «نداء المجهول». ويحاول كل منهم أن يجد الجواب وفق أهوائه وثقافته ، وأحاسيسه وتصوراته ، وكانت تلك الخاتمة عاملا فعالا

فى خلود هذه القصة الصادقة الأحاسيس ، ذات الإطار الرومانسى الرمزى .

المجال القصصي

● إن بعض النقاد اتهموا تيمور بأنه لايتقيد بمجاله القصصى ، وخاصة فى نداء المجهول . إذ لم يوفق فى تصوير البيئة المكانية والزمانية للقصة حين قال على لسان راوية القصة ، إنه رأى على إحدى الرسائل الواردة إلى الأستاذ كنعان طابعا سوريا ، فى حين أن سوريا فى ذلك الوقت كانت ولاية عثمانية ، ولم تستقل عن السلطنة ، وتصدر طوابع خاصة بها إلا فى فترة حكم فيصل القصيرة . وذكر النقاد فى اتهامهم أن تيمور تحدث عن صحارى شاسعة لاتقع لها على أثر فى لبنان . وهو بالإضافة إلى ذلك يقدر مدة الرحلة بعشرة أيام بينا كان باستطاعة الإنسان فى ذلك الوقت ، أن يقطع لبنان من الشرق إلى الغرب أو من الشمال إلى الجنوب فى أقل من يومين .

وأظن أن هؤلاء النقاد قد أغفلوا قراءة السطر الثانى فى أول القصة ، فقد كتب تيمور ، أن لبنان وقتئذ كانت تحت السيادة التركية . وتيمور قد سافر إلى لبنان فعلا للاستشفاء .. ومكث فى فندق يشبه تماما الفندق الذى صوره فى القصة ، وصادف بعض الشخصيات واحتك بها مدة إقامته فى لبنان . أما دعوى أن

الإنسان كان يستطيع أن يجوب ربوع لبنان فى يومين فقط ، فهذا لايقلل من شأن الجمال القصصى ، لأن الإطار الرومانسى قد أسقط هذا الايهام الضعيف من تلقاء نفسه .

(حبكة القصة)

● وقصة « نداء المجهول » ذات حبكة متماسكة ، إذ قامت على حوادث مترابطة ، وسارت فى خط مستقيم . ففى الصفحات الأولى مهد تيمور لأحداثه بالتقاء جميع شخصيات القصة فى فندق الأمان ، ووضع أمامهم قصة « القصر المسحور » فكانت كالطعم الذى جذبهم إلى القيـــام بمغامرتهم الخطيرة . وعن طريق هذه المغامرة تسلسلت أحداث القصة بدون افتعال ، حتى مفاجآتها كانت طبيعية مثل سقوط أبطـال القصة فى سرداب القصر ، والتقائهم بيوسف الصافى .

وقد اعتمدت حبكة قصة « نداء المجهول» على حكايتين. فالقصة الأولى تمثلها «مس إيفانس » التى طعنت فى قلبها فارتادت لبنان ليلتئم الجرح وهناك سمعت بقصة يوسف الصافى وحبيبته صفاء ؛

أما القصة الثانية فهى تصف حب يوسف لصفاء التى خطبت إلى غيره . فاتفق الحبيبان على قتل نفسيهما . ويقتلها يوسف فى ليـــلة الزفاف ، ولكنه يعجز عن قتل نفسه كما وعد حبيبته . ويفر إلى

الجبل ليعيش فى القصر المسحور . وقد أثرت القصة الثانية تأثيرا كبيرا على القصة الأولى ، إذ دفعت مس إيفانس إلى القيام برحلتها الجنونية ، واشترك معها محمود ، والشيخ عاد ، والدليل مجاعص . وربطت القصة الثانية تلك الشخصيات برباط وثيق . وكانت سببا مباشرا فى الصراع المستمر بين محمود ومس إيفانس حول الحب . وصراع مجاعص مع الخوف . وصراعهم جميعا مع الموت حين كان يرقبهم كل لحظة من لحظات رحلتهم . وبذلك اعتبرت حبكة القصة حبكة مركبة ، إذ اعتمدت على حكايتين ، تداخلت كل منها فى الأخرى .

الحدث .. والايقاع

● أما طريقة عرض حوادث القصة ، فقد لجأ تيمور إلى طريقة الترجمة الذاتية ، وبدأها بضمير المتكلم ، ووضع نفسه مكان البطل حين يقول « سافرت إلى لبنان سنة ١٩٠٨ ، لأروح عن نفسى وأنعم بفترة هدوء وبعد عن صخب الحياة » . وقد استطاع تيمور أن يفلت من سقطات هذه الطريقة ، لأنها تغرى القاص وتجعله يقحم نفسه فى تعبير شخصيات القصة عن أنفسهم ، فيجعلهم ينطقون بلسانه هو ، لا بلسانهم وفق طبيعتهم ، وبذلك يحول الكاتب شخصياته إلى بوق ، يعلن فيه آراءه وأهدافه . لقد نجح تيمور وتغلب على هذه العقبة وترك الحرية كاملة لكل شخصية من شخصيات

نداء المجهول لتعبر عن أحاسيسها وخلجاتها ، ولم يقحم نفسه ، ولم نحس بأنفاسه من وراء تصرفاتهم وأقوالهم .

وقد توالت الحوادث فى تلك القصة ، خلال عشرة أيام . وكان الايقاع التيمورى واضح السمات . فتيمور دائما يقدم لنا عمله الفنى على هيئة أمواج تتحرك بنظام خاص ، لتؤدى إلى تأثير معين . هذا التغير التموجى فى القصة هو الذى يسمى بالايقاع . وقد بدأ الايقاع فى قصة نداء المجهول هادئا خافتا . فالشخصيات بدأت تتعرف على بعضها فى سهولة وبساطة وأثارتهم قصة « القصر المسحور » التى دفعتهم الى موجة أخرى هى موجة بدء الرحلة ومغامرتهم فى الجبال ، ثم إلى وصولهم للقصر ذاته . وهنا أسرعت الموجات ، وأصبحت هادرة أثناء سقوط شخصيات القصة داخل الشبكة . وإطلاق الرصاص على الشبح الذى ظهر أمامهم . وهكذا كان تيمور يدفع بالقارىء فوق أمواجه الهادئة والصاخبة ليصل فى النهاية إلى الهدف .

أهم الشخصيات

● أما شخصيات القصة ، فقد عالجها تيمور بالطريقة التمثيلية ، فقد نحى نفسه جانبا ، ليتيح لشخصياته أن تعبر وتكشف عن مكنوناتها النفسية ، بأحاديثها أو سلوكها الخاص . ولأن القصة

كما قلت من قبل ، من قصص الترجمة الذاتية، وهى التى تبدأ بضمير المتكلم . وعلى الكاتب فى هذه الحالة أن يبتعـــد عن شخصياته ، والايدس أنفه فى كل لحظة . بل يترك لشخصياته أن تكشف عن نفسها بواسطة الاعتراف ، وتداعى الأفكار ، والمراجعة الداخلية، وعن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها ، وتعليقها على أعمالها تماما كما كانت تفعله الجوقة فى المسرح الاغريقى ، فهى تعلق على الحوادث وتوضح خطوط سيرها ، وتبرز نتائجها الخلقية . فالى أى حد نجح تيمور فى رسم شخصيات قصة « نداء المجهـــول »؟

« مس إيفانس »

● والشخصية الرئيسية فى الرواية هى شخصية «مس إيفانس» المستشرقة الانجليزية . كانت فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها . هادئة القسمات ، ماتزال نضرة الشباب تتخايل على وجهها الجميـــل . وكانت قليلة الكلام ، محبة للعزلة ،لاتبادلنا فى فترة الأكل إلا بضع كلمات بلغة بين الفصحى والعامية . وكثيرا مارأيتها تقضى الساعات الطوال على مقعدها ، تنطوى نظراتها على عـــزم ونشاط وإرادة تخالطها وداعة محببة ، وهى تحدق بعينيها الزرقاوين الحالمتين فى الوادى البعيد الممتد تحت قدميها .

وقد جاءت «مس إيفانس» إلى لبنان ليلتئم قلبها من جرح عميق اعترفت به لمحمود بن حقالت له .لقد وثقت بدنياكم هذه ،فأودعتها

أعز ما أملك ، أودعتها قلبى ، ولكنها دت إلى هذا القلب مطعونا..
إنى اكره دنياكم .. اكرهها !.

وكشف هذا الاعتراف السلوك الخاص الذى كانت تتبعه،وهو الابتعاد عن الناس ، وأنها أصبحت امرأة بلا قلب . فارتمت فى أحضان الفلسفة الصوفية ، لتصل إلى فهم هذا الوجود . وقد كشف عن هذا أيضا فى قولها : « قد تعترض المرء فى تاريخ حياته حادثة واحدة تحول خط سيره ، وتحلق به فى جو جديد يقسره على تغيير نفسيته . ومن ثم يتهيأ لقبول الحقائق الصوفية بلا مكابرة ولا عناد » .

وعندئذ وجدت فى قصة « القصر المسحور » سلوة تدفع بها ملل الحياة كما قالت . ولكننى اعتقد أن القصة الأسطورية الداخلية فى القصة العامة هى صدى مجسم لقصتها الحقيقية . فيوسف الصافى، قد قتل صفاء ولم ينفذ بقية الوعد ، وهو قتل نفسه. لقد غـدر بها. كان جبانا .. وهرب .. هرب إلى الجبـــال ، واختفى فى القصر المسحور . فصفاء المقتولة هى رمز « مس إيفـــانس » التى قتلت عاطفيـا ، وأصبحت امرأة بلا قلب . أصبحت مجرد جسد يتحرك هنا وهناك ، بلا هـدف . ولما عرفت مس إيفانس بقصـة القصر المسحور ، جسم لها عقلها الباطن ، يوسف الصافى على أنه حبيبهـا الذى طعنها فى قلبها عندما كانت فى انجلترا .. وغدر بها . فاشتاقت

إلى أن تلتقى بيوسف الصافى موهمة نفسها، انها ستلتقى بحبيبها الحقيقى الذى غرر بها. ولذلك أعدت هذه الرحلة، لتخترق بها أستار المجهول للبحث عن هذا « يوسف الصافى » .. الرجل الأسطورى ، الذى اختلطت صورته فى ذهنها على أنه حبيبها . تماما كما اختلطت صورة « مس إيفانس » بذهن يوسف الصافى ، عندما عاد إلى رشده ، وحسبها حبيبته صفاء ، قد جاءت لتقتص منه ، لأنه لم ينفذ الوعد .

هذا الأمل فى المجهول ، هو الذى جعل « مس إيفانس » تتحمل مشاق ومخاطر تلك الرحلة الجنونية . وباعتقادها الوثيق بالقضاء والقدر . ولما التقت بيوسف الصافى داخل القصر ، ظلت بجانبه فترة طويلة تعنى به ، وتضمد جراحه وكأنها تضمد جرحها القديم . كانت تدافع عنه أمام محمود الذى كان يسخر من يوسف الصافى ويسميه بالمخبول المعتوه . بل قالت لمحمود .. إن يوسف الصافى هو الرجل الوحيد الذى فهم سر هذا الوجود ، لأنه عاش خمسة وعشرين عاما وحيدا فى هذا القصر ، يناجى شجونه ، ويتأمل الطبيعة حوله . فاذا ناله هم أو أصابه ضيق لجأ إلى صلواته متقربا إلى ربه . فسرعان ما يعاوده صفاؤه المنشود .

وقد نجح تيمور فى رسم الخطوط الخارجية لشخصية « مس إيفانس » . واستطاع أن يهيىء لها الظروف والملابسات ، لكى

تكشف عن أسرار عقلها الباطن ، فى حديث سلس ، لا تكلف فيه مع محمود .

«الطبيعة»

● والشخصية الثانية فى القصة التى تثير الانتباه ، والتى استحوذت على قلم تيمور فى صفحات كثيرة ، ولم يتمكن من الافلات منها ، ولم يستطع أبطال القصة إلا أن يصبحوا عبيدا لها بل تعدى تأثيرها إلى القارىء نفسه . فقد حلقت بخياله بعيـدا ، فى عالم رومانسى حالم ، على أجنحة الخيال الشفافة . هذه الشخصية هى الطبيعة . جسمها تيمور حتى كدنا نحس بأنفاسها كأى كائن حى فالجبال الشاهقة كانت تحيط بالفندق وبتلك البقعة الوادعة ، كأنها حراس يخفرونها والوادى البعيد منبسط أمام الفندق بزروعه المختلفة الألوان . وعلى سطح الجبل قطعان الماشية ترعى الحشائش الجافة التى تنبت فى جرأة عجيبة بين الصخور .

ويقول تيمور حين وصلوا إلى مكان شاهق وقـد جلسوا ليستريحوا قليلا : « وانبعث ضوء أحمر فى جوانب السماء وجلستا على الصخور ونحن نراقب هذا الضوء الجميل يعبث بالليل ويداعبه مسترقا خطاه فى خفة . ولبثنا كذلك ، وعيوننا متطلعة إلى السماء ، لا نتفوه بكلمة ، مأخوذين بروعة الطبيعة ، منتظرين ذلك الساحر العظيم .

وكنا لانسمع فى ذلك الصمت الرازح ، إلا صوت الهواء المحتبس فى الوادى ، فكأنه أنين شاك أو أسير .. حتى البغلتان لقد اشتركتا معنا فى الاصغاء والسكون ، فلم تصدر منهما حركة أو شحيح ، بل لقد وقفتا جامدتين كأنهما تحت تأثير قوة مغناطيسية

وأخيرا ظهر القمر يعبر قمم الجبال فى جلال وانتصار ، يسبح فى هدوء غريب، ويبتسم حوله للألوان معتزا بجماله وقوته ، وإذا بالوادى يتفتح عن جوانبه ، ويتكشف عن أسراره . وانتشرت همهمة غريبة تكاد تخطئها الأذن . فهل كانت أصوات بعض الحشرات قد خرجت من جحورها مرعبة؟ أو هى أصوات كائنات غير منظورة جاءت تشاركنا فى استقبال ضيفنا الكبير ؟

لقد شاهدت بزوغ القمر كثيرا ، وأعجبت به كثيرا . ولكننى لم أره قط على هذه الحالة التى رأيته عليها فى ذلك الوقت ، ولم أشعر نحوه بذلك الشعور الذى أحسسته آنئذ .

وصورة أخرى رسمها تيمور للطبيعة ، يقول : « وأخيرا وصلنا وإذا بالشمس تميل للغروب ، ووقفنا على القمة ، فألفيناها قمة عظيمة يكل الطرف عن إدراك منتهاها . ولبثنا مليا ، نريد أن نتبين : فى أى جهة نحن منها ؟ وأن نمتع النظر بجلال الطبيعة من حولنا ولكن الهواء كان شديدا قاسيا يهب علينا فى الحاح ،

فكأنه يريد أن يحملنا على ساعدية الجبارين ، ويلقى بنا على الصخور فى مسارب الهاوية ، عقابا لنا على اقتحام مملكته النائيه. وفى كثير من الصفحات ، كانت الطبيعة تطل بأنفاسها ، وتحيط بشخصيات القصة. أحيانا ترعبهم وتخيفهم ، وأحيانا تنقلهم إلى عالم جميل حالم ، وأحيانا تشدهم إلى المجهول فى غموض .

« محمود »

● أما شخصية محمود ، راوى القصة ، فهى لم تؤثر فى الأحداث تأثيراً واضحا ، وكانت كعين الكاميرا ، سجلت الأحداث والوقائع فى أمانة ، ولكن شخصية «الشيخ عاد» فقد رسمها تيمور باتقان، وكانت عنصرا ايجابيا فى القصة ، فالشيخ عاد تعود أن يظهر أمام نزلائه بملابسه الشرقية البديعة . القفاطين الوطنية ذات الألوان الزاهية ، والجبب الحريرية الفضفاضة الموشية بالقصب ، يغدو فيها ويروح بمشيته المتزنة الهادئة ، ووجهه الصبيح مشرق دائما بالابتسام ، فتخاله سلطانا من سلاطين الف ليله ، هذه هى السمات الواضحة الملموسة لشخصية الشيخ عاد ، وقد ساعدته فى قيـــادة الرحلة إلى المجهول . وكان ذكيا فطنا ، يعلم بكل شىء يدور حوله وكان المفسر لأى غموض بالقصة ، كما اتضح لنا فى الحوار الذى دار بينه وبين محمود فى نهاية القصة .

« مجاعص »

● لكن الشخصية التى أضفت المـــرح ، والسخرية والتهكم على الأحداث ، كانت شخصية « مجاعص » دليل الرحلة ، لقد تعاطف القارىء مع هذه الشخصية طوال الأحداث ، بل إن هذه الشخصية قد رسمت باتقان ، وببراعة وصدق . بحيث أنها أصبحت من معالم هذه القصة الرومانسية الواقعية ، وكان موت مجاعص مفاجأة للقارىء ، أثارت فيه تعاطفه ، بل ان هذه الشخصية ، قد انتزعت الحزن والألم من قلوب القراء على وفاتها . هـــذا التعاطف الحقيقى ، لم يحظ به «يوسف الصافى» ابن أحد زعماء الجبل الذى أحب «صفاء» ، ولم يستطع أن يتزوجها . فقتلها أثناء حفل زفافها لقد وعد حبيبته ، بأن يقتل نفسه معها . ولكنه جبن وهرب . وأثار هـذا الموقف إحساسات القراء فألقوا بسخطهم عليه . واستطاع تيمور بذلك ، أن يحيط يوسف الصافى بغموض . هل هو جبان ، أم أنه كان شجاعا حين حكم على نفسه بالنفى المؤبد فى عزلة طوال الخمسة وعشرين عاما . وفى خلال هـذه المدة . وضع لنا تيمور « يوسف الصافى » فى موقف يثير العطف والحنان ، عندما أطلق محمود عليه الرصاص . وأصبح فى صراع مع الموت . ذلك الموقف ، جعل مس ايفانس تنعطف إليه ، وتسبغ عليه من حنانها ، مما أثار الحقد والغيرة فى قلب محمود . ولكن بالرغم من هذه الأحداث التى

أحاطت بيوسف الصافى ، فان شخصية « مجاهص » كانت عميقة الأثر فى النفس ، للصدق الواقعى فى التعبير عن هذه الشخصية كما رسمه تيمور .

والأسلوب فى هذه القصة سلس . واستطاع تيمور أن يبتعد عن المحسنات اللفظية التى لاتخدم المعنى ولا الهدف. وكانت الموسيقى الهادئة أحيانا ، والصاخبة حينا آخر ، تنساب من بين الألفاظ فى براعة .

والحوار كان طبيعيا وسلسا ، وهو متغلغل فى صميم البناء الفنى للقصة . وقد بدأ الحوار غامضا يجذب انتباه القارىء سطرا وراء الآخر .

* * *

أما الصدق فى القصة ، فيختلف اختلافا كبيراً عن الصدق الذى نتوقعه فى العلوم . فقد ذكر أحد النقاد أن قصة « نداء المجهول » بعيدة عن الصدق ، لأنها تعتمد على حوادث غير واقعية . وأعتقد أن الناقد قد أغفل حقيقة عنصر الصدق فى الفن القصصى فالصدق فى الأدب عموما ، هو الصدق لما يحتمل وقوعه دائما فى حياة الإنسان على وجه الأرض . فالصدق فى التاريخ والعلم هو الصدق بالواقع ، أما الصدق فى الفن ، فهو الصدق بالإمكان ، والصدق بالإمكان أكثر شمولا وأشد عمقا ،لأنه يتناول الحقائق الانسانية

الخالدة فى دوافع خفية ، وانبعاثات أصيلة ، وانفعالات وعواطف وميول وأهواء ومبادىء تلتقى جميعاً فى النفس الإنسانية، وتتفاعل وتتصارع ، لتوجهها أخيراً وجهة خاصة ، هى مانعرفه بالشخصية الإنسانية . والشخصية الإنسانية ، هى القاعدة الأصيلة الثابتة ،التى يبنى عليها بناءالحياة الشامخ . وستبقى خالدة مستمرة ، ما استمرت الحياة على وجه الأرض . وقد قال أحد العابثين إن كل مافى القصة حق وصدق ، عدا الأسماء ، والتواريخ . أما التاريخ فكل مافيه كذب عدا الأسماء والتواريخ .

لذلك استطاع تيمور أن ينجح فى التعبير بصدق عن أحداث قصة « نداء المجهول » ورسم شخصياتها .

لكن شخصية الاستاذ « كنعان » لم تؤثر فى القصة التـــأثير المباشر . ولم يكن لها دور ايجابى على الاطلاق . فاذاحذفناها ، لن يختل شيء من الميزان القصصى . وأعتقد أن تيمور، كان يهيىء لهذه الشخصية الفرصة لتأخذ دورها الإيجابى فى القصة، ولكنه أقصاها وتخلص منها فوراً بطريقة مرحة. حين ذهبت مس إيفانس والشيخ عاد . ومحمود لإيقاظ الأستاذ كنعان . فوجدوه من ثقب المفتـاح جالسـا على سريره يتميز غيظـا وهو منهمك فى إرسال غطيطه العجيب يوهمهم به أنه مستغرق فى نوم عميق .

* * *

وفى إحدى الصفحات قالت مس إيفانس لمحمود «شاهدت رؤيا غريبة رأيتنى على ظهر باخرة تمخر المحيط الشمالى . وإذا بجبل من الثلج قد ظهر لنا فدهمتنا موجة برد عاصف كادت تصرفنا عن الخطـر الملم الذى يتهددنا »

وابتسمت ابتسامة بهيجة !

واستيقظ « الشيخ عاد » على حديثنا فقـام نشيطـا على وجهه بشاشة ..

وقد ظننت أن هذه الرؤيا التى ذكرتهـا مس إيفانس لمحمود . سيكون لها أثراً فعالا فى القصة . أو أنها ترمز إلى أحداث قادمة. ولكن .. انتهت القصة . ولم أر شيئا من هذا قد تحقق. واعتقدت أن تيمور قد ذكر هـذه الرؤيا لتعـبر عن شيء مجهول فى العقـل اللاواعى لمس إيفانس وعدت لقراءة القصة من جديد.

ولكننى لم ألاحظ شيئا من هذا . وطفقت أبحث عن تأويل لهذه الرؤيا ، ولكننى لم أستطع . لأنها كانت غامضة ولم تستطـــرد مس إيفانس فى الرواية فعبارة « كادت تصرفنا عن الخطر الملم الذى يتهددنا .. » معناها أن الموجة لم تنقذهم ، ولكننا لم نفهم أيضا هل اصطدمت الباخرة بجبل الثلج. أيضا لا نعرف الجواب .

فهذه الرؤيا . بوضعها الحالى ، لم تلق ضوءاً كاشفا على أحداث القصة كما ظننت وأحسب أن الاستاذ تيمور كان يود أن يربطها

بالسياق القصصى لنداء المجهول. ولكن هذا الهدف لم يتحقق كما كان يرجو، أو كما أظن ذلك .

وقد ركز تيمور أحداث قصته على عنصر «التصعيد» كما يسميه «فرويد» إذ قد يحب المرء بكل قوته. فاذا أخفق انتقل هواه بضرب من الاستعاضة الى حب جنونى ينطلق نحو عالم آخر إلهى. غامض يؤمل منه ألا يخدع كغيره. وكان ذلك هو موضوع «نداء المجهول» فهذه الرواية ليست فحسب تصويرا لنداء المجهول فى كل نفس بشرية بل هى أيضا - وقبل كل شىء - للانسياق نحو الصوفية، حين يخفق المرء «مس ايفانس فى القصة» فى هواه. فيصبح كارها «لمادية» الحياة فى المجتمع و «زيفها» . .

المجهول . . فى نداء المجهول

● ويقول تيمور عندما تحدث عن روايته . «فى القصة تمثيل واضح لغريزة إنسانية عميقة، هى حب المغامرة، والشغف بالكشف، وارتياد المجهول، هذا الى مقاومة الصعاب التى تعترض الطريق الى الغايات، واحتمال المشاق مهما يكن من أمرها تمنا لفرحة الانتصار. وتلك الغريزة من أهم الغرائز العمرانية البناءة التى يرجع إليها اكبر الفضل فى تقدم المدنية وازدهار المجتمع البشرى .

ويرى تيمور أن «المجهول» هو الهدف الذى يلهب تلك

الغريزة إلهاما .. هو السراب الذى يذكى الظمأ ، ويثير النزوع ، ويضرم الشوق . هو قوة المقاومة .. هو « المولد » الذى يبعث الحرارة الدافعة . وبالشقاء من يفقد ذلك السراب الذى يشد العزائم ويحث الخطا وبالبؤس من لا يجد فى فكره ولا فى خياله « مجهولا » يناديه !

ان الوقوف عند « المعلوم » هو الفقدان والضياع .. هو النهاية والفناء .

وان « المجهول » — دائما أبدا — هو أبو التجارب .. وباعث المقاومة .. وهو جوهر الوجود ، وسر الحياة ! .

هكذا يرى تيمور « المجهول » فى روايته . والمجهول حقيقة هو الذى يجعل الانسان يتقدم الى الأمام كل يوم وسط مخاطر الحياة الدائمة . وقد رأينا أن ذلك « المجهول » هو الباعث الحقيقى لكل أحداث تلك الرواية .

اللامعقول .. والصورة الفنية

● وقد يتساءل الكثيرون .. ان هناك أحداثا غير معقولة وقعت فى القصة ، مثل اختفاء يوسف الصافى داخل القصر المهجور طوال تلك السنين . وتيمور نفسه يجيب على ذلك السؤال قائلا :

« .. وربما كان للقارىء وقفة عند ما أسميه « اللامعقول » فى

القصة ، وأعنى به بعض تصرفات ليست فى نطاق المألوف الذى تجرى به سنن الحياة ، وتقوم عليه طبائع الناس . . فان الحادثة فى القصة تفرض بقاء بطلها الرجل فى قصره المهجور المتقور فى بطن الجبل سنين متواصلة ، لا يبعد عنه ، ولا يمل المكوث فيه .

وليس ذلك بمقبول أو معقول ،على ما نعهد من كثرة النـاس فى غالب أمرهم .

والجواب على هذا أن « الصورة الفنية » للاحداث لا تقـاس بمقاييس العقل الجامدة ،أو المنطق المحدود ، والحكم عليهـا بالصدق والكذب، لايوزن بموازين المطابقة للواقع والخروج عليه ، ولكن الإعتماد كل الاعتماد على الأحوال والملابسات التى تحاط بها « الصورة الفنية » ، وعلى الجو الذى يفاض عليها ، وعلى أصالة التخيل الذى يقيم من لبنات موهومة كيانا حقيقيا ، يقوى الاحساس به ، ويتسنى الاندماج فيتراءى للاعين حتى لتكاد الأيدى تلمسه لمسا .

وأمثلة هذه « الصورة » الفنية لا حصر لها فى الأعمال الأدبية الخالدة ، ولا سيما الاسطورى منها ، مما يزخر بالخوارق والاعاجيب، كما فى ملاحم اليونان . وما يحاكيها أو ينسج على منوالها من روايات قديمة أو معاصرة . وكما فى قصص« ألف ليله وليله» ألمع جوهرة فى أدب الشرق كله » .

لمحـــات

يعتبر الفصل الخامس من رواية « نداء المجهـول » من الفصول الهـــامة إذ استطاع فيه تيمور أن يوضح بعض الغموض الذى اكتنف أحداث الرواية . فقد عرفنا ماحدث ليوسف الصافى بعد أن أطلق الرصاص على حبيبته ، وهروبه إلى الصحراء .

وأثناء عودة « مس إيفانس » و « محمود » والشيخ «عاد» من القصر المسحور ، دار حوار ممتع عميق كشف بعض الأهداف التى كان يرمز اليها تيمور .

إذ قالت « مس إيفانس »

ـ ما أتفه الحياة يقضيها الإنسان فى عزلة نائية ! لا أدرى كيف تحتمل أعصاب المرء مثل هذا السجن القاسى .

وقالت أيضا :

ـ إنى أسمى مثل هذه العـزلة مرضا إجتماعيا .. لـكل امرىء فى الحياه رسالة يجب أن يؤديها لبنى جنسه ، فاذا نكص على عقبيه عد ذلك فرارا من الميدان .

هذا الحوار على لسان « مس إيفانس » يكشف لنا حقيقة هامة وهدفا رئيسيا من أهـداف القصة وهى أن الإنسان خـلق ، وله رسالة يجب أن يؤديها للآخرين . ولايمكن لانسان أن يعيش

بعيدا عن المجتمع وعن الناس . فان تلك الحياة ستكون تافهة . والشخص الذى يحيا بعيدا عن البشر يعتبر مريضا ويجب علاجه .

ولذلك فان كثيرا من القراء لم يفهموا نهاية القصة حين قال الشيخ «عاد» لمحمود عندما سأله أين اختفت « مس ايفانس » فأجابه قائلا :

« هناك .. ألم تفهم ؟ »

ومعنى هذا فى رأيى أن « مس إيفانس » عادت إلى « يوسف الصافى » لتنقذه من العزلة التى فرضها على نفسه ، وأن تعود به إلى حياة البشر. تلك الحياة الحقيقية التى تتكامل فيها رسالة الانسان نحو نفسه .. ونحو الناس .. ونحو المجتمع الذى يعيش فيه .

« تعبيرات أدبية »

● إن التبتل يروض نفوسنا ، فتنقشع عنها غشاوتها ، ومن ثم نستطيع أن نرى الوجود على حقيقته .

● إن الصوفية تتطلب فداء جسيما ، وكبير على النفس أن ترضى بهذا الفداء الجسيم من تلقاء ذاتها .

● إن الأمور نسبية فى هذا الوجود .. فما يعتبره أحدنا تافها يعتبره الآخر مجدا من الأمجاد ، وآية فى كتاب البطولة .

● « الحقيقة » .. هى أن يحيا الانسان فى هذه الدنيا وفق قوانينها الطبيعية .

● إن القلب لايخطىء خطأ العين ! فعواطفك لاتنجذب إلى فتاة لمجرد أنها تشابه من أحببتها فى سالف حياتك .

أسئلة مختـــارة

من امتحانات مديريات التعليم

١ - لماذا قامت « مس ايفانس » بالرحلة الى القصر المجهول ؟

٢ - ما المجهول فى رواية « نداء المجهول » ؟

٣ - ما أثر قصة يوسف الصافى وحبيبتـه صفـاء على رواية نداء المجهول ؟

٤ - قصة « نداء المجهول » تمثيل واضح لغريزة انسانية عميقة هى حسب المغامرة . كيف ذلك . ومـاذا تعرف عن مـؤلف هذه الرواية ؟

٥ - ما الهدف من رواية « نداء المجهول » ؟

٦ - من هى « مس ايفانس » فى رواية « نداء المجهول » وكيف ستطاعت أن تقوم بالرحلة الى القصر المجهول ؟

٧ - فى رواية « نداء المجهول ، شخصية صامته لعبت دورا كبيرا فى الرواية » ماهى ؟

٨ - لـماذا تعـاطفت « مس ايفانس » مـع « يوسف الصافى » وما نتيجة هذا التعاطف ؟

٩ - هل يستطيع الانسان أن يعيش منعزلا عن المجتمع .. وهل

العزلة ، والبعد عن الناس يعد مرضا . كيف ذلك ؟ أجب مستشهدا بقصة يوسف الصاقى

١٠ - « لنفرض أنك أحببت فتاة ، ثم فرقت بينكما شجون الحياة ، وبعد انصرام عشرة أعـوام مثلا لقيتك فتاة أخرى تشابه الأولى مشابهة تامة ، فهل تشعر لهـا بمثل الحب الذى كنت تشعر به للأولى ؟ »من قال ذلك . ومـا رأيك مستشهدا بأحـداث قصة « نداء المجهول » ؟

١١ - من هـو الشيخ « عاد » ، وماموقفـه من أحـداث رواية «نداء المجهول ؟

١٢ - « إن القلب لايخطىء خطأ العين ! فعواطفك لاتنجذب إلى فتاة لمجرد أنها تشابه من أحببتها فى سالف حياتك! » من قال ذلك وما المقصود من هذا الحوار .

استشهد لما تقول بأحداث الرواية .

١٣ - قالت «مس ايفانس »ليوسف الصاقى :أنت الرجل الوحيد الذى فهم سر هذا الوجود .. » مامعنى هذا ، وما رأيك أنت ؟

١٤ - من الذى يروى قصة «نـداء المجهـول »وما المقصود من تلك الرواية .

فهـــرس

صفحة

- محمود تيمور .. فى نقط ٣
- المجال القصصى ١٠
- حبكة القصة ١١
- الحدث والإيقاع ١٢
- مـع الشخصيات ١٣

  - مس ايفانس ١٤
  - الطبيعة ١٧
  - محمود ـ الشيخ عاد ١٩
  - مجاعص ١٩
  - يوسف الصاقى ٢٠

- المجهول فى نداء المجهول ٢٤
- اللامعقول .. والصورة الفنية ٢٥
- لمحـــات ٢٧
- تعبيرات أدبية ٢٩